الانتظار.. السلبي والإيجابي

من الأسئلة المهمة التي يجب أن يلاحظ كل فرد منا جوابها ويطبقه على نفسه هو:

كيف ننتظر إمامنا الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف؟

أنجلس مكتوفي الأيدي نكتفي بالدعاء له ونمارس حياتنا الطبيعية (دنيويا ودينيا)، ونترقب علامات الظهور فقط؟

أم يجب علينا أن نمهّد لظهوره ونغيّر مجريات العالم سياسيا واجتماعيا واقتصاديا لنهيئ له العالم من أجل أن يقوده حين ظهوره المقدس؟

هاتين هما أبرز نظريتين في الانتظار وكيفيته، فأيهما أصح؟ وأيهما تخدم القضية المهدوية أكثر؟

مما لا خلاف فيه أن جواب هذا السؤال من وظيفة من أمَرَنا بالانتظار ووعدنا بظهور إمامنا، أعني النبي وأهل بيته عليهم السلام، فهل بيّنوا لنا ذلك؟

إن أدنى نظرة للروايات المعصومية في هذا الصدد يشعر بأنهم عليهم السلام كانوا يدعوننا لنسق واحد من الانتظار وهو «كونوا أحلاس بيوتكم

والبدوا ما لبدنا»[1]، و"الحِلس" في اللغة هو البساط البالي الذي يفرش في البيت تحت الأغراض الثمينة للحفاظ عليها، فهم عليهم السلام يريدون منا ان نلزم بيوتنا ولا نتحرك حتى نصل الى مرحلة من إهمال الناس لنا كأننا تلك البُسط المهملة التي بها يُحفظ أغلى ما عندنا (وهو ديننا)، حتى إذا ظهر إمامنا المنتظر عجل الله فرجه الشريف قمنا معه ونصرناه وذدنا عنه وأعنّاه على إقامة دولته العظمى ونشر العدل وإبادة الظلم.

ولا يظنن القارئ أنهم عليهم السلام يدعوننا الى الضِّعة والهوان والمذلة، حاشا لنا ولهم ذلك، بل إنهم يدعوننا لأن نكون «كالنحل في الطير، ليس شيء من الطير إلا وهو يستضعفها، ولو علمت الطير ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك»، أي أن نقدّر ما نحن فيه من نعمة كبرى ومنّة عظمى، وهي أن نكون نحن حفظة الدين ورعاته والجماعة الصالحة التي يحتجّ بها الله على الأمم «والعصابة التي لا تضرها الفتنة شيئا»، و«الأفضل من أهل كل زمان»، و«الذين يعدل أجر كل واحد منهم أجر خمسين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»، و«المخلَصون حقا»، و«أَفْضَلُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ لِأَنَّ

١- ما بين أقواس التنصيص نصوص ومضامين الروايات الشريفة.

اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَعْطَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ وَ الْأَفْهَامِ وَ الْمَعْرِفَةِ مَا صَارَتْ بِهِ الْغَيْبَةُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمُشَاهَدَةِ»، و... الخ، وإن لم يقدّر ذلك من أعمى بصره عن الحق فأعمى الله بصيرته.[2]

وأما من يذهب إلى أن التمهيد للإمام عجل الله فرجه الشريف يكون بالحركات السياسية والسعي لنيل السلطة وما شابه ذلك فليس أكثر من «فرخ طار فوقع فتلاعبت به الصبيان»، فهو يسعى لدور خصّ الله به خاتم الأئمة المعصومين عليهم السلام، ويخالف أوامر الائمة الطاهرين عليهم السلام وأفعالهم وسكوتهم وسكونهم ونهيهم عن الخروج لغير أهله وفي غير أوانه.

نعم فـ(الانتظار الايجابي) حقا هو السكون، وكتمان أسرارهم عليهم السلام، والتمسك بالتقية -فـ«كلما تقارب هذا الأمر كان أشد للتقية»-، والتوجه للعبادات، «والورع، والاجتهاد، والطمأنينة»، ومجاملة الناس ومعاملتهم بحسن الاخلاق، وإقامة أمور المعاش، ومعونة المؤمنين، وتقوية الأواصر بين المجتمع الإيماني،

٢- وقد دلنا أهل البيت (عليهم السلام) على ما ننال به العزة في المجتمع بالطرق الاقتصادية والاجتماعية، من دون الدخول في معمعة السياسة وطلب الحكم، والمقام يضيق عن بيان ذلك فمن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع كتاب (النظام الاجتماعي للشيعة في عصر الغيبة) الذي قررت فيه محاضرات شيخنا الوالد (الشيخ حيدر حيدر دامت بركاته) في هذا الصدد.

والتمسك بالدين -فإن «المتمسك بدينه كالخارط لشوك القتاد بيده»-، «والانتظار للقائم» عجل الله فرجه الشريف، والدعاء له عجل الله فرجه الشريف، وانتظار علائم ظهوره المقدس، وتكذيب كل دعوى تخالف ما ورد عن آل البيت عليهم السلام في ذلك، والاستعداد القلبي والروحي والجسدي لنصرته.

«فإن مات» هذا المنتظِر «وقام القائم عجل الله فرجه الشريف بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه» وقتل تحت رايته، «بل والله تحت راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

و(الانتظار السلبي) حقا هو العمل بالسياسة (بمعناها السيء)، والسعي لإقامة الدول، وترك التقيّة، والاستعجال، فقد «كذب المتمنّون وهلك المستعجلون، ونجا المسلمون، وإنَّ بَعد الغم فتحا عجيبا» و«كُلُّ رَايَةٍ تُرْفَعُ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ عليه السلام فَصَاحِبُهَا طَاغُوتٌ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

ولا يفوتني أن أنبه على أن من الواضح جدا لكل مطلع على نصوصهم عليهم السلام يعلم علم اليقين أنهم لم يتطرقوا إلى مفهوم "التمهيد" الذي يشاع الحديث عنه في بعض أوساط المؤمنين، بل إنهم إنما أمروا بالانتظار، والاستعداد للنصرة، وعلى الله التمهيد لما يشاء ويريد، فإنما «يصلح الله أمره في ليلة».

ولندرك أهمية ما نحن فيه من التوفيق لانتظار فرج الله الأعظم والإيمان به وبدينه الأقوم ولنستشعر ما نحن فيه من القرب إلى الله تعالى، فعَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وأَرْضَى مَا يَكُونُ عَنْهُمْ، إِذَا افْتَقَدُوا حُجَّةَ اللَّهِ، فَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا بِمَكَانِهِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ تَبْطُلْ حُجَّةُ اللَّهِ، فَعِنْدَهَا فَتَوَقَّعُوا الْفَرَجَ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، فَإِنَّ أَشَدَّ مَا يَكُونُ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ إِذَا افْتَقَدُوا حُجَّتَهُ فَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ؛ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ لَا يَرْتَابُونَ، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَرْتَابُونَ لَمَا غَيَّبَ حُجَّتَهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى رَأْسِ شِرَارِ النَّاسِ».

وفقنا الله جميعاً لانتظار وليّه، وثبتنا على دينه، وأشهدنا ظهوره، جعلنا ممن ينتصر به لأوليائه الطاهرين عليهم السلام.

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية
www.darhikma.net

مركز دار الحكمة للتنمية والدراسات الإسلامية
١٩

الانتظار..
السلبي والإيجابي

الشيخ
محمد حسن آل حيدر